

زئيف ماعوز*

فلتُكسر سلسلة التعمية**

نشهد في الأيام الأخيرة موجة من التصريحات والمقالات التي تعلن الانتصار في الحرب الكارثية والفائضة عن الحاجة في لبنان. "حققتنا إنجازات منذ الأيام الأولى للحرب؛ دمرنا صواريخ حزب الله؛" إعلان نصر الله أنه لو كان يتوقع شدة رد إسرائيل، لكان امتنع من خطف الجنود يؤكد الضربة التي تلقاها – هذه مقتطفات عشوائية من جواهر كلام التعمية الفارغ، الذي تسقطه علينا المؤسسة الأمنية ومندوبوها في وسائل الإعلام. ممنوع علينا بأي شكل من الأشكال أن نشترى هذه البضاعة الفاسدة، لا لأنها كاذبة من أساسها، فحسب، بل أيضاً وأساساً لأنها تنضم إلى سلسلة من التعمية والخداع تبدأ من حرب لبنان الأولى وتستمر متواصلة حتى يومنا هذا بالذات. وإذا لم نقطع سلسلة الإنكار وخداع النفس، من المتوقع أن تلحق بنا كارثة أكبر كثيراً في المستقبل.

يجب قول الحقيقة المرة: منذ حرب يوم الغفران لم يفلح الجيش الإسرائيلي في حسم أية مواجهة عسكرية. أكثر من ذلك، وحتى إذا لم ينتصر خصومنا، فإننا وصلنا إلى حالة توازن مخجلة في الانتفاضة الأولى، وخسرنا في انتفاضة الأقصى وفي حرب لبنان الثانية. ويقوم هذا الرأي على قاعدة حقيقة متناقضة ظاهرياً: في كل واحدة من المواجهات الرئيسية كان ثمة فجوة كبيرة لمصلحتنا في جميع الأبعاد الرئيسية – النوعية والكمية – لموازين القوى. ومع ذلك، لم ندفع الفلسطينيين إلى الخنوع لا في الانتفاضة الأولى ولا في الثانية، واضطررنا إلى الانسحاب من لبنان وذيلنا بين أرجلنا بعد أعوام من القتال غير المجدي وغير الحاسم مع تنظيم قام بفضل غزونا. إن إدراكنا أن لا حل عسكرياً للانتفاضة وقبول وقف لإطلاق النار من دون التوصل إلى حسم عسكري في لبنان – مع أنهما مبرّرين لأسباب سياسية وخلقية – بعد أعوام طويلة من الاستناد إلى أساس يقتصر على استراتيجيا عسكرية، يشكلان اعترافاً لاواعياً بفسلنا.

فعلنا الأسوأ في حرب لبنان الثانية. وطوال 33 يوماً، لم يتوقف سقوط الصواريخ على شمال البلد. القدرة القتالية والروح القتالية لدى حزب الله لم يمساً تقريباً. وبحسب الدلائل كلها، فإن قدرته على التأهل ستمكنه من استعادة قوته السابقة خلال أشهر معدودة. وإذا لم يكن هذا فشلاً، فما هو الفشل إذا؟ ينبغي للمرتبة السياسية أن تدفع الثمن السياسي لشن حرب الخداع هذه، والطريق إلى معاقبتها هو من خلال الاحتجاج الشعبي ومن خلال صناديق الاقتراع، وليس بواسطة لجان تحقيق. وإذا ظلت المرتبة السياسية على وضعها السابق، لن يكون هناك أي أهمية لاختبار النتيجة السياسية بإجراء ديمقراطي. لكن الشيء الرئيسي الذي يمكن للجنة تحقيق أن تكشفه، وأن توصي بإصلاحه، هو العمل التحضيري وعملية اتخاذ القرارات في الحكومة.

أمّا فيما عني المرتبة العسكرية، فلا يكفي إطاحة الرؤوس هناك، مهما تكن مبررة. لقد آن الأوان لتفحص معمق للعقيدة القتالية، والتحرر من عبادة التكنولوجيا التي فشلت مراراً وتكراراً في النزاعات المنخفضة الشدة، وقطع الحبل السري الخاص بأعمال الشرطة والاحتلال من مبنى القوة والعقيدة القتالية – إخراج الجيش الإسرائيلي من الحواجز والمستوطنات ومراكز المدن الفلسطينية، وإعادته إلى نظام تدريبات وتحضيرات عمالانية. لقد حان الوقت لإعادة الإبداع الاستراتيجي والتكتيكي، والقيادة التي تبرز بين قيم الاستقامة الشخصية والحرص على طهارة السلاح وأخلاق القتال، ومخيلة استراتيجية خلاقة، وقدرة على قيادة عمليات القتال. وأن الأوان، في الأساس، لفصل الجيش الإسرائيلي عن السياسة وتقليص تحكم المؤسسة الأمنية في وضع السياسات.

إن قيادة سياسية قادرة على وضع الجيش الإسرائيلي في مكانه – بصفته خادماً لسياسة الخارجية والدفاع، وليس بديلاً منها – إلى جانب قيادة عسكرية تعترف بحدود القوة وقادرة على بناء عقيدة قتالية وقوة عسكرية مثلى في إطار هذه الحدود – هما فقط يمكنهما أن يقودا إسرائيل إلى إنجازات سياسية حقيقية، وإلى إنجازات عسكرية، إذا اقتضت الضرورة.^[2]

(*) أستاذ العلوم السياسية في جامعة تل أبيب، وفي جامعة كاليفورنيا، ديفيس.

(**) المصدر: مترجم عن العبرية من موقع "يديعوت أحرونوت" (2006/9/6) في الإنترنت:

www.ynet.co.il

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي

التالي: majallat@palestine-studies.org

يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعتها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:

http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx